مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد: 05 العدد: 01 يناير 2022 ص ص: 613-636
ر ت م د (ISSN): 2602-618X /ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

قيمة التربية والتعليم في فكر مالك بن نبي

ودوره العلمي في فرنسا 1931/ 1956

The value of education in the thought of Malik Bennabi and his scientific role in France 1931/1956

خيرة المهدي هجالة[1]♦ الصادق دهاش[2]

مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية، جامعة علي لونيسي البليدة02
[1]kheira_elmehdi@yahoo.com

مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية، جامعة علي لونيسي البليدة02
[2]dahaches@ hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/05/22 تاريخ القبول: 2021/06/27 تاريخ النشر: 31/ 01/ 2022

الملخص باللغة العربية:

يعالج البحث أهمية التربية والتعليم في فكر مالك بن نبي، باعتبارهما بعدين أساسين في عملية تنشئة الإنسان الذي يعد كمحور أساسي لبناء الحضارة، ويبرز دور مالك بن نبي العلمي فترة وجوده بفرنسا، منذ أن كان طالبا بباريس1931 إلى غاية هجرته1956 نحو مصر، ومن خلال هذه الفترة تم التعرف على أهم النشاطات التي قام بها بغية التوجيه، وترقية الوعي وتربية الانسان، وتزويده بقيم فكرية، وعلمية، وخلقية، محاربا في ذلك الجهل، وداعيا للعمل. وغايتنا من هذا البحث هو الوقوف على حقيقة النشاط والممارسة الفعلية لـ"مالك بن نبي"، والتعرف على أهم منطلقاته وأفكاره وغاياته، وذلك بعرض بعض نظراته في مسألة التربية والتعليم، ومجهوداته، وانتاجاته الفكرية بفرنسا، معتمدين في ذلك على المنهج التاريخي الوصفي والمنهج التحليلي. وتم التوصل على أن التفكير العلمي الصحيح، والسلوك الأخلاقي الملتزم بقيم المجتمع ومعتقداته هو الذي يبني الحضارة، ويخلق شخصية إنسانية تساهم في بناء دولة متقدمة متحضرة.

الكلمات المفتاحية: التربية والتعليم؛ مالك بن نبي؛ الانسان؛ الحضارة؛ فرنسا.

Abstract: The research deals with the importance of education in the thought of Malik ben Nabi, as they are two basic dimensions

♦ المؤلف المرسل

in the process of raising people, which is a fundamental axis for building civilization, and it highlights scientific role of Malik ben Nabi during his stay in France from 1931Since he was a student in Paris to 1956 emigration to Egypt, and through this period the most important activities that he undertook were identified. With it in order to guide, promote awareness and educate man, and provide him with intellectual, scientific and moral values, fighting that ignorance and calling for action. By presenting some of his views on the issue of education, his efforts, and his intellectual productions in France, relying on the historical descriptive and the analytical method. It was concluded that correct scientific thinking and ethical behavior committed to the values and beliefs of society is what builds civilization and creates a human personality that contributes to building a civilized advanced country

Keywords: Education; Malik ben Nabi ; The human ; Civilization; France.

مقدمة:

شهد المجتمع الجزائري أثناء الفترة المعاصرة للاستعمار الفرنسي الحرمان من العمل والتعليم، الأمر الذي استدعى المهاجرين الجزائريين بفرنسا البحث عن سبل الحياة، فارين من مكر السياسة الاستعمارية، فتوجهت أنظار "مالك بن نبي" (1905/ 1973) إلى فرنسا لطلب العلم، ومن خلال اطار زماني محدد ب1931 / 1956 أي منذ أن كان طالبا بباريس إلى غاية هجرته بمصر، تعددت نشاطاته، ولم تنحصر في التوجيه بل تعدت ذلك الى التأليف والنشر رغم الظروف القاهرة والصعبة في المهجر، لقد عاش "بن نبي" في أكناف العلم مستمدا منه في التأريخ لماضي الأمة الاسلامية عامة، وتشخيص حاضرها، ومعالجة مشاكلها، ومشاكل الأمة الجزائرية خاصة، والتأسيس لمستقبلها في ظل الحضارة الاسلامية، وفي هذا الإطار يأتي المقال ليسلط الضوء على أهمية التربية والتعليم في فكره، ودوره العلمي بفرنسا. وعليه يطرح الاشكال التالي: أين تكمن قيمة التربية والتعليم في نظر مالك بن نبي وما أثر تكريسها على أرض فرنسا؟ ولتحليل ذلك قمنا بعدة استفسارات: كيف ينظر مالك بن نبي للتربية والتعليم كمعيار للحضارة؟ وما الذي يمكن أن يقدمه مالك بالشأن التربوي والتعليمي في ديار الغربة الفرنسية خارج المعتقدات الإسلامية؟ كيف كان مربيا ومعلما في نفس الوقت؟ وما أهم القضايا الفكرية التي كتب عنها في فرنسا؟ هل وفق في ذلك؟ وللإجابة على ذلك تم اعتماد المنهج التاريخي الوصفي

لسرد الأحداث، والمنهج التحليلي من خلال الاطلاع على كتب "مالك بن نبي"، والدراسات السابقة.

1.أهمية التربية والتعليم في فكر مالك بن نبي:

تتبين فكرة التربية والتعليم عند مالك بن نبي كمعادلة للبعث الحضاري، وأن أثرها في الحياة كان عميقا وشاملا، وفي هذا العنصر توحي كمدخل للدراسة بمنهج كيفي، فيتم التعرف على المعيار الذي ينبغي أن نحدد به مدى نجاح الإنسان أو إخفاقه في الحياة الاجتماعية.

1.1 التربية في فكر مالك بن نبي:

إن للتربية دورا مهما في بناء الأفراد، والمجتمعات، وقيام الحضارات، فكيف تتم التربية ومن أين تبدأ عند مالك بن نبي ؟.

- **علاقة التربية بالأسرة:** إن للتربية دورا مهما في بناء الأفراد، والمجتمعات، وقيام الحضارات، فكيف تتم التربية ومن أين تبدأ عند مالك بن نبي ؟. يرى مالك بن نبي من خلال مذكراته أنّ "الأسرة هي الركيزة الأساسية الأولى في التربية فلم يكن حديثه عنها سردا روائيا خاليا من الفائدة التاريخية، وانّما الأساس الذي تكونت من خلال ذاته الحالمة في مرحلة الطفولة، فيبدي تأثره في ذاكرته بسرديات جدته حيث يقول: "فقد كان لها في فن القصص موهبة تجعلنا مندهشين حواليها في ليالي السمر الشتوية ".[1]

وبفترة زمنية تكون ضميره وكشفت له عملية استقصاء عن الباطن، وهو ابن الثلاثين من العمر، رفقة إخوانه الطلبة بباريس مجيبا عن السؤال:" ما هو أجمل عمل تعتزون به في حياتكم ؟ وإلى من ؟ أو إلى أي مصدر تدينون به ؟ يجيب مالك بن نبي على هذا السؤال قائلا: "لقد بعث في ذاكرتي صورة بعيدة طوتها الأيام في نفسي...تعلمت من قصص جدتي في موضوع الصدقة أولى الموضوعات في عناية الإسلام وسبله الأخلاقية، وكانت إحدى قصص جدتي في الصدقة هي التي حركتني، وأنا في السادسة أو السابعة من العمر".[2]لقد أوحت لنا ذكر الصدقة بالخصال الحميدة التي تأثر بها الطفل "مالك بن نبي"

[1](غازي الشمري، جعفر يايوش)، **مالك بن نبي بين التمثل والابداع**، ط1، دار نينوى، سورية. دمشق، 2017، ص. ص38.

[2] نفس المرجع، ص.39

والتي كسبها من أقرب الناس إليه، والذين تربى في كنفهم، كما أوحت بفترة الحرمان التي عاشها مالك بن نبى، التى مثلت فترة الحاجة إلى التضامن.

وتقديرا لأمه وتأثره بها كان يهتم بما يجري فى أسرته منذ أن كان طفلا، خاصة وأن الظروف الصعبة هي التي تولد الأشخاص وتصنع الرجال، ولذلك لامس التربية الروحية في ذلك، فكان الأثر العميق في تكوينه الذوقي، والنفسي والتي يقول عنها :"وقد كانت والدتي هي التي تشتغل في الخياطة من أجل توفير ما يسد الرمق، وكانت هي المتصرفة في خزانة البيت، ولكن الخزانة كانت فارغة، حتى اضطرت ذات يوم وأنا لا أزال أتذكر ذلك بمزيد من التأثر، عندما وجب تسديد ما يستحقه شهريا صاحب المكتب القرآني الذي انتظمت في حلقته، أن تسلم له، في مقابل أجرته سريرها، ذلك السرير الجزائري المسمى" السدة "المصنوع من ألواح توضع فوق قدمين من الخشب[3]".لقد كان ذكر قصص الجدة وعمل الأم أمران هامان في نظره، يبرز لنا دور الأسرة في الاهتمام بأبنائها من غرس الفضائل، وتوجيهم بطريقة غير مباشرة، وفي مواجهة العوائق، وتخطي المخاوف في الحالة الاجتماعية من أجل ضمان العيش للأبناء.

-**علاقة التربية بالمجتمع والدين:** تختلف المجتمعات فيما بينها بما يتعلق بالأهداف التي ترسمها التربية في تنشئة أطفالها وطبيعي أن" أهداف المجتمع في التربية، وفي تنشئة الأطفال ترتكز أساسا على ما يؤمن به المجتمع من قيم فإذا كان المجتمع آخذا بصفة أساسية القيم الدينية تكون غاية التربية روحية"[4]. وإذا ما فقدت التربية والتنظيم يفقد معنى الإسلام، ودوره في حياة المسلم، فيعد انفصالا بين العنصر الروحي، والاجتماعي، وعلى سبيل المثال في ذلك الإنسان الذي يتخطى عتبة المسجد إلى الشارع، ويرى أنها افتراق بين المبدأ والحياة[5].

وإضافة إلى ذلك يرى أن التربية في مجملها عملية تثقيف متواصلة، وهي تتمثل في ذلك المحتوى النفسي الذي يتأسس على تركيب ثقافة المجتمع في بنية شخصية الفرد، وبالتالي" فالتربية تأخذ بعدين أساسين، عملية تثقيف يعطيها معنى المنهج الذي تتشكل من خلاله وحدة الثقافة التي تعكس حضارة مجتمع، وعملية متواصلة وديناميكية متطورة

---

[3] نفس المرجع، نفس الصفحة.

4(فاروق عبده فليه، ابراهيم عباس الزهيري)، **الثلاثية العصرية (الثقافة – الاعلام – التربية)**، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، 1998، ص84.

[5] مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، ج1، **شبكة العلاقات الاجتماعية**، ت: عبد المالك صبور، ط3، دار الفكر، دمشق، 1986، ص 105

مع تطور المجتمع"[6]."فالمجتمع الذي يريد أن يضفي على وجوده الكوني دلالة تاريخية لا مناص له من أن يحدد لنفسه وظيفة محددة في التاريخ"[7].والمجتمع في نظره مقسم الى عالم الأشياء والأشخاص والأفكار والفرد باندماجه للمجتمع تتضح تربيته بناء على ما وجه واندمج إما ان يكون شيئي مادي أو فكري والمجتمع يمتاز .بما يمتاز أفراده.

لخص مالك بن نبي رسالة المسلمين ودورهم أن تستنبط من الدين الإسلامي، وعلى هذا الأساس وأمام عدة استفسارات نحاول فيها ربط العلاقة بين التربية والدين نتساءل ما الذي تعد به الأديان عبر مر التاريخ؟ أتعد بالحضارة عند مالك بن نبي؟ هل يعني ذلك مصير كل فرد هو التعلق بدينه؟ وإذا كان بالإيجاب فماذا يعني ذلك؟.

لقد شخص مالك بن نبي المرض في البعد عن فهم العقيدة الإسلامية الصافية، وكان لتشخيص أمراض العالم الإسلامي مقدمة للبحث عن العلاج، أو للبحث عن أسس النهضة، كيف تبدأ ؟ ومن أين تبدأ ؟ ويعطي بذلك نموذجا عن الجهود المبذولة لكل من اليابان والصين ويرى "لا اختلاف في تطور الحضارة المسيحية عن الحضارة الإسلامية، فالقاسم المشترك بينهما يرجعه للفكرة الدينية" [8].وليس هذا فقط بل يرى أنّ "العلاقة الروحية بين الله وبين الإنسان هي التي تلد العلاقة الاجتماعية، وهذه بدورها تربطها ما بين الانسان وأخيه الإنسان والتي تلدها في صورة القيمة الخلقية والعلاقة الاجتماعية، والدينية هما حدث في التاريخ، ومن الوجهة الكونية عنوان على حركة تطور اجتماعي واحد"[9]. هذا ما يدلي به مالك بن نبي أيضا، ويرجعه للمسألة الدينية، والروابط الاجتماعية فيستدل بجمعية حضانة الأطفال التي إذا ما رجعنا لأصول فكرتها الأولى لوجدناها من أصل مسيحي، وكذا تضافر جهود تركيبات الراديو في أثر قيم البيئة المسيحية في بنائه، الاثار التي وحدت الجهود بين العلماء، كما أشار أيضا على قوة التماسك الضرورية الموجودة في المجتمع الاسلامي. [10]لقد تعددت القضايا، والمشاكل التربوية التي يعانيها

---

[6]العابد ميهوب، **الفكر التربوي عند مالك بن نبي**، اطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013/ 2014، ص19.

7 عمر نقيب، "طبيعة المجتمع في فكر مالك بن نبي التربوي"، **مجلة معالم**، ع2، مج7، 2016، ص29.

[8]مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ت: عبد الصبور شاهين، دون ط، دار الفكر، دمشق، 1986، ص. ص 42، 50.

[9]المصدر السابق، **ميلاد مجتمع**، ص56.

[10] مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، ت: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 2000، ص. ص 80، 81

المجتمع، فيرى أبرز الحلول لتطور مجتمع ما تتبين في أربع عناصر أساسية وهي:" المنهج الأخلاقي، الذوق الجمالي، والصناعة، والمنطق العملي" [11].

ومن خلال ما سبق يتبادر لنا أن التربية عند مالك بن نبي هي التي تخص الفرد، وتعده لحياته المستقبلية فبذلك يقلد الطفل والداه فيما جابهته الظروف فتغذيه. أما اجتماعيا فهي تعلم الفرد كيف يتعامل مع مجتمعه، وتعلمه خبرات مجتمعه السابقة، والحفاظ على تراثه لأن التراث هو أساس بقاء المجتمعات، فالمجتمع الذي لا يحرص على بقاء تراثه مصيره الزوال، وبذلك فالتربية بالمعنى الاجتماعي تحرص على تمكين المجتمع من التقدم، وتدفعه نحو التطور والازدهار، ونراه يربط ويفسر ويعالج القضايا من منظور تاريخي، فدائما ما يرجع بنا للتاريخ ليدقق أحوالا، فمنهجه تاريخي بحت إضافة إلى منهجه العلمي في تدقيق الأحداث. وما يمكن قوله عن اليابان والصين، يمكن قوله عن نهضة ألمانيا وذلك ليتضح في توظيف الذاكرة الجماعية فكان كعبرة ودرس.

وعلاوة على ذلك يرى في التربية الاجتماعية قواعد عامة ينبغي أن تستقى من علم التاريخ، وعلم الاجتماع وعلم النفس، وهذه القواعد ثوابت التاريخ التي لا يغيرها الزمن على حين يغير المجتمعات[12].وبناء عليه نرى أن التاريخ أو الزمن لا يغير المعنى للتربية التي تحافظ على أخلاق المجتمع النابعة من تاريخ الأمة، ومن حضارتها وثقافتها ومن خبراتها الماضية ومن دينها، وعن طريق تعاملها وعلاقتها بالأمم الأخرى.

-علاقة التربية بالحضارة ودور الانسان فيها: تعد الحضارة عند مالك بن نبي جوهرا ينتظم جميع أشيائها وأفكارها وروحها ومظاهرها، وقطب يتجه نحوه تاريخ الإنسانية[13] وهذا الجوهر صبغته التربية ودوره الانسان حيث يرى مالك بن النبي أن أساس الحضارة هي التربية، فيبنيها على أساس ديني، وذلك ما نستشفه في قوله "علينا إيجاد تربية الإنسان على أساس قرآني روحي، الذي يمزج بين الإنسان والتراب والوقت، عندئذ تتحقق الخطوة الأولى في الإقلاع الحضاري، وهي حصانة الذات من القابلية للاستعمار، وذلك بغرس العقيدة الصحيحة المحركة الفاعلة التي تبعث على الخشية والتقوى، والمراقبة، والمحبة ،والعمل الدؤوب، والاتقان، والإجادة، والتجديد واستخدام أنفع الوسائل لنفع الأمة والتفكير لأجلها"[14]. وفي حصانة الذات من القابلية للاستعمار يبرز لنا رمزا أخلاقيا

---

[11]نفس المصدر، ص104

[12]مالك بن نبي، المصدر السابق، **ميلاد مجتمع**، ص. ص75، 76

[13]المصدر السابق، **شروط النهضة**، ص.159

[14]محمد البنعيادي، "مالك بن نبي في ذاكرة عبد السلام الهراس"، كتاب **المجلة العربية**، ع395، الرياض، ديسمبر2009، ص. ص38، 39.

بحت لأنه يعلمنا درسًا أخلاقيًا تربويًا وهو المطالبة بالحقوق وعدم السكوت عنها، وأن الضعيف المطالب بحقه لا بد أن ينتصر أو يرسل الله له من ينصره.

وعلى هذا الأساس يرى في ذلك واجب صناعة الرجال الذين يمشون في التاريخ مستخدمين التراب والوقت والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى[15]، ويرى في بناء الانسان أن قضية الفرد منوطة بتوجيهه ثقافيا، وعمليا، وماليا والثقافة بدورها تترجم في مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد في الوسط الذي ولد فيه وبالتالي تعكس حضارة مجتمع[16]. والعلاقة التي تربط التربية بالحضارة في البلدان المتخلفة يضع صورة مشكلتها الحضارية في تحديد ثقافتها لتتدارك تأخرها وتؤدي دورها في العالم بصورة فعالة، كون لغة التربية تستوجب تطبيق الطرق التي توجه الذكاء في اتجاه الحضارة[17]. ففي هذا الترابط بين الثقافة والعمل وتزويدهم بالتربية يظهر دور الإنسان في الحضارة.

وهذا ما تعمقنا في الأمر نرى أنّ المعادلة الحضارية عند مالك بن نبي = إنسان + تراب + وقت، ومن خلال أطراف المعادلة نجد الانسان هو محور الحضارة لذلك تمثلت تربيته في ناتج حضاري، وهذا ما يبيّن أن التربية ترتبط ارتباطا وثيقا بالإنسان الذي يبرز دوره في بناء تاريخ حضاري، بصفة الانسان هو الذي يسيطر على الأحداث التاريخية، وهو المحور الأساسي في العملية التربوية والنهضوية، والفكرية والحضارية من خلال محاكاته وفاعليته في بيئته. فالإنسان إذا ما أدى دوره التربوي سواء كان معلما، أو فلاحا، أو صنّاعا، أو تاجرا، أو طبيبا ستشهد بلاده نهضة اقتصادية وقفزة حضارية، فلعل الشيء الذي أبهر مالك وهو يزور فرنسا ترجم في فعالية الرجل الأوربي الرجل الغربي على غرار رجل بلدته ورجل العالم الاسلامي، فروح العلم المطبقة والظروف المحيطة به هي التي استنطقته وجعلته يمعن النظر ويكتشف فيها حسن الصنعة.

وإلى جانب ذلك انتقد النقد اللاذع أبناء وطنه خاصة، والعالم الاسلامي عامة، فيسعى للكشف عن عدم الارتياح للطريقة التي تبنى بها صناع القرار السياسي في بلاده، وكذا المصلحين، فتراه يحط من شأن أعمال المسلم الرجعي الذي يبرّر في الأقوال، ولا يقبل على التجديد، والتطبيق والتشييد، وفي ذلك يقول:" يقال إن المجتمع الإسلامي يعيش طبقا لمبادئ القرآن، ومع ذلك فمن الأصوب أن نقول: عنه يتكلم تبعا لمبادئ القرآن لعدم وجود المنطق العملي في سلوكه الإسلامي" [18] فيقدم بذلك درسا أخلاقيا

[15] مالك بن نبي، المصدر السابق، **شروط النهضة**، ص 75.

[16] نفس المصدر، ص. ص 77، 83.

[17] مالك بن نبي، المصدر السابق، **مشكلة الثقافة**، ص112

[18] نفس المصدر، ص87

والحث عن الأفعال ويبرز الفرق بين الطموح الذي يغرس في المسلم غيرته عن دينه وعن مبدأ تطبيق العمل على غرار التكبر والغطرسة والثرثرة والأقوال.

وإن أعجبته فعالية الرجل الأوربي هذا لا يعني أنّه لقي حظا في فرنسا، بل لم يوفق حتى في ايجاد عمل مناسب له نظرا لنظرة الفرنسي المحتقرة للجزائري، لقد عاش "مالك بن نبي" الحرمان الحقيقي سواء في بلدته، أو في فرنسا لقد أشاد بالدور الديني الذي ذكره على أساس قرآني لأنّ القرآن هو المنبع للتربية، وفيه جزء من التربية السياسية للأمة، والسلوك التربوي يضمن التنظيم الاجتماعي، ويحصن من التبعية الغربية والخضوع لها، فاستقامة العقيدة تجعل المسلم يفتح بأخلاقه الآفاق، وتعد كل من الأخلاق، والعمل، والإتقان كلها أدوات حضارية يشيد بها الإنسان حضارته.

وفي اهتمامه بعالم الأشخاص وجد الخلل، "ما كانت فئة تدعو إلى الشر فهي مخرّبة، فالسارق وشارب الخمر الذي يستغل إخوانه هو حجر عثرة في طريق المجتمع، بل هو ذاته مرض متجسم" [19]، ولذلك رأى بناء الفرد في اطار نطاق الأخلاق [20].وهذا ما يوحي لنا أن إرادة مالك أرادت أن تصل إلى إحداث التغيير، وإمكانية التغيير تكمن في تطبيق القرآن، وحين يكون الفرد متهيئا تربويا يستطيع أن ينشئ حضارة، فالتغيير الاجتماعي في نظر "مالك بن نبي" أساسه المعرفة، وأساسه ذات الانسان، والوعي والتبصر من خلال نقده للأوضاع التاريخية.

-**علاقة التربية بالسياسة**: تكمن نظرة "مالك بن نبي" في التربية السياسية بتحديد السياسة على أنّها توجيه للطاقات الاجتماعية لتحقيق المجتمع في الداخل، وتحقيق مكانه في الخارج، فالطاقات الاجتماعية تنبع من الفرد وتعود إليه، فحينما يشارك الفرد الصالح في بناء المجتمع، فإن عمله هنا يعود في صورة ضمانات اجتماعية تكفل له توجيه طاقاته الفردية.[21] وبالتالي يؤكد "بن نبي" في كل مرة على أهمية ودور القيم الأخلاقية والدينية كمرجعية أساسية تستند إليها الجهود الاجتماعية، فلابد لهذه القيم العليا أن تكون السند للأسس العقلية [22]. وبهذه الميزات نراه يسلك منهاجا واضحا في الحياة أساسه التربية، وجعله لها كقاعدة أولية تبنى عليها الأفراد، وتتعد في ذلك التربية من منظوره

---

[19]مالك بن نبي، **تأملات**، ط1، دار الفكر، ، دمشق ، 1979، ص.22

[20] نفس المصدر، ص25

[21] نفس المصدر، نفس الصفحة

22محمد العاطف، **محورية الانسان في معادلة النهوض الحضاري**، أطروحة دكتوراه في الفلسفة العربية والغربية، المدرسة العليا بوزريعة، الجزائر، 2018/2017، ص 225.

من تربية فردية إلى تربية اجتماعية إلى تربية مثالية، وتربية سياسية إلى بناء حضارة، وذلك بالترابط والتناغم بين العناصر الحيوية في الحياة من إنسان وتراب ووقت.

2.1- التعليم:

يعتبر التعليم من الوسائل الأساسية لدراسة الفعل التربوي، بحيث يشكلان معا منظومة متكاملة فهو أولى المكونات الفطرية التي ساهمت في بلورة بن نبي الإنسان، وهو يفتح عينيه على هذا العالم في بدايات القرن العشرين وتبعا لذلك تبادرت لنا عوامل مساهمة في تشكيل قيمه، ومعتقداته وسلوكياته تمثلت في:" الأسرة، البيئة التبسية التعليم، الحركة الوطنية، التراث، والوضع العالمي" [23]، ولا يسايرنا في ذلك شك أن الفترة التي عاشها هي فترة الإقبال على التعليم، والاحتكاك بمختلف الشخصيات التي تؤثر في نفسية الفرد، وتجعله مقبلا على ذلك.

إنّ التعليم جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما، فيوفر لكل فرد من أعضائه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتقدمه، وقد فرّق "مالك بن نبي" بين التربية والتعليم في موقفهما الاجتماعي ازاء مشكلة معيّنة فالعلم عنده يمثل جانبا واحدا من جوانب برنامجه التربوي للثقافة، وهو جانب التخصص الذي يعنى بإعداد الكوادر الفنية ،أمّا التربية فهي أعم وأشمل ،مادامت تعني بمسألة التثقيف التي لا تهدف فقط إلى تنمية الجانب العقلي، أو الجانب المعرفي، أو جانب القدرة، والمهارة لدى الفرد، بل وأيضا تهذيبه أخلاقيا، وتنمية ذوقه الجمالي وإلى اكتسابه للخبرة[24].

وينحصر التعليم في التعلم للمعرفة،والتعلم للعمل،والتعلم للعيش مع الآخرين، لذلك كان بن نبي قارئا نهما للصحف، والمجلات، والكتب العربية، والأجنبية، والروايات، فعلى سبيل المثال، قرأ احدى عشر صحيفة باللغة العربية، فتعددت الصحف من صحيفة "المنتقد" و"قسنطينة" و"أم القرى" و"النجاح" و"الزهرة التونسية "،"مجلة الشهاب، و13 صحيفة شيوعية منها "الإنسانية " و" النضال الاجتماعي"، وتنوعت الكتب بين العربية والفرنسية منها لـ"محمد عبده" و"أحمد رضا"، و"المنفلوطي" وغيرهم من كتب المشارقة [25]. فنستطيع القول أنه أقبل على ذلك لتنمية ملكته المعرفية وليدرك مايدور حوله، ويتعلم من أفكار غيره.

---

[23] غازي الشمري، المرجع السابق، ص .49

[24] العابد ميهوب، المرجع السابق، ص.21

[25] غازي الشمري،المرجع السابق، ص.50

وإضافة إلى هذا الرافد المعرفي، استطاع أن يدرك الثقافة الإسلامية، والتكوين المزدوج الفرنسي، سمحا له منذ البداية أن ينظر لأصل المشكلة من زاويتين" زاوية (الروح الإسلامية) ، وزاوية (الرؤية العلمية) الرصينة التي اكتسبها "مالك بن نبي" من التكوين الرياضي والفيزيائي، مّما سمح له أن يكون ملما بالثقافة الغربية، وبمعطيات الحضارة الأوروبية" [26].

وفي هذا السياق، ونظرا لاهتمامه بالتعليم، كانت من بين المسائل التي كان يتداركها هو وصديقه "بن ساعي" الفقر الخلقي، والفكري للعالم الاسلامي أمام عالم غربي له روح أوربية وتقنية ديكارتيه، فقرّرا أن يعرضا قضية التعليم على الضمير الجزائري، وفي ذلك حرّر "مالك بن نبي" مقالا في جريدة (الدفاع) ليبين بتوزيع عدد الأميين على المثقفين لكنه لم يوفق نظرا لنظام الادارة الاستعمارية الميكيافيلية الذي كان مستشارها "لويس ماسينيون Louis Massignon- 1883/ 1962)[27].إنه لمن الصعب أن تكون مدرسة في زمن الاستعمار، وهذا ما يفسر هجرة مالك بن نبي والمهاجرين الجزائريين بفرنسا نظرا للوضعية السائدة في البلاد التي فرضها المستعمر.

وبدون شك يمثل إقبال "مالك بن نبي" على المكتبات في فرنسا رغبته في التعلم، والنهل من معارف مختلف الكتب، وبناء عليه، "ففي سنة 1942 بمكتبة (Sainte – Geneviève)وجد المادة العلمية الخام التي يمثلها رصيده الثقافي وبعدها مكتبة (l'UJGC) بفرنسا أين أقبل بقراءاته الأساسية العميقة التي شكلت فكره " [28] .

2. آثاره العلمية بفرنسا:

إن الفكر العلمي عند مالك بن نبي أكسبه مهارات ترجمت في التعليم والتأليف بفرنسا، فكانت تحد للجهل، وللمستعمر الذي حاول غرس عقدة الاستصغار في نفسية الأهلي على أنّه لا ينتج ولن ينتج، ورسالة التوجيه عند "مالك بن نبي" باللسان والقلم رسالة لغاية تنويرية نشهدها من خلال هذه العناوين الفرعية.

1.2- بن نبي معلما في فرنسا:

لا شك أن الحياة في فرنسا قد عانى منها المهاجرون الجزائريون، وخاصة العمال الذين أرادوا تحسين معيشتهم ووضعيتهم الاجتماعية، فكان لكل مهاجر سببا لهجرته،

---

[26] نفس المرجع، ص.55

[27] مالك بن نبي، **العفن**، ج1، **1932- 1940** ،ت: نور الدين خندودي، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص.ص 108، 109

[28]نفس المصدر، ص.59

منهم من انتقل لأجل العمل ومنهم لغاية علمية كهجرة مالك بن نبي في الثلاثينيات من القرن العشرين، الفترة التي نراها تلي فترة انفجار الأزمة الاقتصادية في العالم سنة 1929 فترة أثرت في الوسط المعيشي، والتعليمي الجزائري، فترة الاضطهاد الفرنسي، وفيها تبادر لمالك الهجرة لغاية علمية، ومنها تبادرت له الفكرة التعليمية حسب ما تطلب حضوره في الوسط المعرفي، ويحدد بذلك كمعلم من خلال معرفته المكتسبة، ومعرفة مصادر المعرفة، وتحديد المعرفة في أماكن مختلفة للمقبلين على التعلم.

-**الطالب المرشد**: لقد تبيّن من خلال هجرته إلى فرنسا تعرفه على نمط الحياة هناك، فأقام علاقات فى الوسط الطلابى المسلم، وأصبح نائبا لرئيس جمعية الطلاب المسلمين لشمال أفريقيا التى ترأسها "محمد الفاسى"، واحتكاكه بجمعية الشباب المسيحى المتواجدة بباريس جعلته يظهر كشخصية بارزة تعشق العلم والدين، لقدأصبح مشهورا كداعية اسلامى فى نادي اتحاد الشبان المسيحى، يكشف للشبان النصارى من خلال الاجتماعات عن الإسلام ويهتم بالمسائل الدينية التى كانت نقطة ضعف شباب المسلم، فينتقل من النادي المسيحى إلى الحى اللاتينى أين اكتسب وعيا بالعيوب فى العالم الإسلامى رفقة الصديق "بن ساعى"[29].ومن الملاحظ أنّ الاتحاد المسيحى كان يرتاده البروتستانتيون[30]، والبروتستانتية كانت أحد أهم العوامل فى تطور الرأسمالية والصناعة فى فرنسا[31]. وعلى هذا الأساس نرى مالك يرتاد نادي الاتحاد المسيحى ويرتاح من خلال احتكاكه مع رفقته، وبتحليله للأديان يكشف فى الدين كقوة لبناء الحضارة.

وبسلوكه التربوي وطريقة تعامله الذكية مع شباب النصارى أدى إلى انشاء ودادية فرنسية-شمال افريقية، ففى كل يوم أحدمن كل شهر فى بيت سيدة نبيلة لا يذكر اسمها كانت له اتصالات، واجتماعات مع هؤلاء الرفقة يقيم بناء فكريا قائما على بعض القيم الضرورية للحياة الغربية، فلا يشيد هذا البناء لا بالعرض ولا بالكتاب [32].

لقد كان "بن نبى" يساهم بتعليم بعض رفقائه المقبلين إلى فرنسا، فيساعدهم فى العلوم الدقيقة من مادة حساب التوجيه والكهرباء النظرية التى اهتم بها صديقه الودود "بواعنيني" المتواجد بباريس، فكان يزوره مرة أو مرتين في الشهر[33]. إنّ "مالك بن نبي"

---

[29]نفس المصدر 30، .31

[30]نفس المصدر، ص .100

[31] ماكس فيبر، **الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية**، ت: محمد علي مقلّد، دون ط، مركز الانماء القومي، لبنان، ص 19.

[32] المصدر السابق، ص.ص 51، 54.

[33]نفس المصدر، 94، 95

نبتة إسلامية، نشأت وترعرعت في بيئة إسلامية محافظة، وقد كان خلال مسيرته يتفتح على كل ما يعلي فيه تلك الروح الدينية، ليلمس عناصر القوة في هذا الدين، وفي نفس الوقت كان ينفتح على الحضارات الغربية، تفتحا واعيا، قادرا على التمييز ما بين ما يعرض في الواجهات، وما هو مبطن فيها" [34].

ومن الواضح أنّ تعليمه الجيّد تطلب مشاركة الجماهير، وذلك ما تم عن طريق المحاضرات، فنأخذ على سبيل المثال محاضرته التى عنونها لماذا نحن عرب؟ التى وجدت بهذه الصيغة فى كتابه العفن وفى كتابه مذكرات شاهد القرن بـ لماذا نحن مسلمون؟ ربما يعود هذا لطريقة الترجمة، فهذه المحاضرة التى ألقاها فى أواخر ديسمبر 1931 تناول فيها الموضوع استنادا من تاريخ الشمال الافريقى [35]، هذه المحاضرة التى أتاحت حوارا محسوسا ما جعلت "محمد الفاسى" يلقبه بزعيم الوحدة المغربية[36]، ومن خلال العنوان تبدو لنا هذه المحاضرة فى اطار التوجيه، والتنبيه عن الغفلة واشارة إلى عرض أفكار وقيم فهو يرشد المستمعين لما وجب ذلك.

-**طريقة التعليم وهدفه:** عالج "مالك بن نبى" قضية الجهل بوجوب التعليم هذا ما أولى اهتمامه به، وعلى نمط ورغبة التعليم بنادي تبسة، ومن أجل أن يضع" مالك بن نبى" بعض الخميرة العلمية فى عقل الأهلى التى قدم فيها دروسا مجردة من الصيغ حول صناعة الزجاج والورق والجير المائى والصابون وتربية النحل بطريقة عصرية، وعرض قضية البيئة سنة 1937التى قدم فيها محاضرة فى ذلك [37]. اتضحت أكثر طبيعة معرفته للتعليم، ومن خلال مكتسباته القبلية باشر وساهم أيضا في تعليم الأميين العمال المهاجرين بفرنسا في محل الحداد، فأقام (محاضرات أسبوعية)كل يوم أحد للشبان في شارع (شابوليه) في محل مهجور للحدادة صبغت جدرانه بالجير، حيث كان يدفع المتعلم مساهمة أسبوعية ضئيلة تكفي لسد الرمق(خبز وجبن)، وحدّدت مدة التعليم بالفترة التي قضاها بمرسيليا احدى عشر شهرا [38]. لم يكن التعليم يوميا، فالأهم عند "مالك بن نبي" والهدف من منهجه التربوي والتعليمي هو بناء الإنسان الصالح، والقادر على المساهمة بفاعلية في ترقية الحياة، وهذا بطبيعة الحال يترتب وقتا لذلك حسب ماكنا قد أشرنا إليه في قضية التربية وعلاقتها بالحضارة.

---

[34]الشمري، المرجع السابق، ص.87

[35]المصدر السابق، **العفن**، ص. ص 237، .238

[36] مالك بن نبي، **مذكرات شاهد القرن**، ط$_2$، دار الفكر، دمشق، 1984، ص240.

[37]المصدر السابق، ص .152

[38]نفس المصدر، ص. ص160، .165

وبنادي "مركز المؤتمر الجزائري الإسلامي للثقافة"، وفي شارع فوشييه رقم 16، تم تعليم الأميين ليتسنى لهم كتابة خطاباتهم لأهلهم بالجزائر، ففي عشية كل سبت حلقة للدروس، وعشية الأحد محاضرة عامة للجمهور، فكان يدعى "بن نبي" حينها بـ (الشيخ الصديق)، "ولترتيب محاضراته أمرا يسيرا، كونه اعتاد في تبسة الحديث إلى الجمهور بلغته " [39]. لقد كان المعلم يدعى بالشيخ الصديق ربما اختير له ذاك الاسم فى نظرنا لمدى صدقه وإخلاصه فى عمله أو تأثرا بشخصية ما. لقد كانت هذه المبادرة الطيبة كمحاولة لبناء فرد منعته أوضاعه المعيشية، وظروفه القاسية التعلم فى وطنه، ولا شك أنه ساهم بإيمان صادق ممارسة التعليم، فجاءت الفكرة عنده مرتبطة ببعدين أساسين بعد أخلاقى وبعد روحى، كما جاءت مستجيبة لنداء داخلى (نداء الضمير).

و من خلال مساره العلمى كان التواصل مستمرا مع صديقه "محمود بن ساعى" وزوجته "بوليت فيليبون" paulette Philoponالتى أسلمت، وتسمت بخديجة تيمنا بزوجة الرسول صلى الله عليه وسلم، فكانت تمده يد العون وتضاعف من نشاطه، وفى اطار الاتصال يتصل مع أحد أفراد النخبة الجزائرية "مبارك الميلي" الذي كان يرى فيه الرجل الصادق، فاستبقاه بمرسيليا رغم مرضه ليلقي درسا [40].

وفي عام 1938وبعد انخراطه في تدريس العمال الجزائريين الأميين بمرسيليا، شعر بجدوى عملهم حاول أن يغير من أوضاعهم النفسية، والعملية، عن طريق التعليم، والتوعية، ولكنه بعد مدة وجيزة اضطهد من الفرنسيين[41].فاتضح لمالك العدو اللدود له الذي عرقل سيره وخطاه لقد كان يجد المستشرق "ماسينيون" دوما في طريقه مهما كان المسلك الذي يتخذه [42] خلص للنظام الفرنسي أنه لا يصلح لتعليم الأهالي وتكوينهم تقنيا فيتكفل النظام بضياعهم بجميع الوسائل، وتم اتهامه أنه عضوا نافذا في نجم شمال افريقيا [43]. وعلى أنه لا يتوفر على أي سند قانوني ليزاول التعليم [44].

إن هذا الموقف الفرنسي يعكس لنا النموذج السياسي ازاء التعليم، فلم تتوفر للمعلم "مالك بن نبي" الفرص للظهور والبزوغ والتعليم في مدرسة مشيّدة، أو في مؤسسة

---

[39]مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن**، ط2، دار الفكر، دمشق، سورية، 1984، ص.404

[40] مالك بن نبي، **العفن**، ص. ص56، 166

[41]فوزية بريون، **مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة**، دون ط، دار الفكر، دمشق، سورية، 2010، ص123

[42]المصدر السابق، **العفن**، ص.137

[43]نفس المصدر، ص. ص 141، .144

[44]نفس المصدر، ص.169

علمية ،كون التعليم يكسب المتعلمين فتح العيون على الواقع والتعرف على ما يدور حول الإنسان في بيئته المحلية والخارجية. ورغم اعجاب مالك بالمآثر الفرنسية والعقل الأوربي المدقق ،فهذا لا يعني أنه قد أعطته الحياة الفرنسية في تلك الفترة مراكز للتنوير، أو سهلت له أعماله فيها فالمدرسة ما كانت إلا شبه محل قديم تبلورت فيه الفكرة الثقافية والتربوية، والتي تقوم على المواطنة لتدحض المستعمر وتقتضي عدم الفصل تربويا بين الثقافة والدين، والمواطنة والأخلاق، وانطلاقا من التربية على المواطنة، يجد الفرد المتعلم التماسك الاجتماعي بين أبناء الوطن الواحد.

ونعتقد مما هو معلوم أن الحياة في المهجر تولد (الحرية)، وعليه تتطلب المبادئ الأخلاقية، كون التربية الأخلاقية في البلدان الأوربية لا صلة لهابالتكوين الفكري وبالثقافة، إذا ما قيست على نمط العيش عند فلاسفتهم من فساد الأمر الذي استدعى مالك لتعليم العمال المهاجرين، وزواجه بخديجة لكان أكبر دليل على ذلك. وحين نتحدث عن القراءة التي سلكها المتعلمون، فهذا لا يعني الكتب المدرسية المقررة، وإنمّا التعليم الحر، وبهذه الطريقة انتشر حب القراءة في- تغيير المفاهيم-فكان مالك بن نبي بمثابة رجل الفكر يوجه وجهة حضارية.

وعليه يمكن القول في ذلك كما قال الكاتب "طه جابر العلواني" اقتضت المواجهة بين الثقافة الغازية والأصيلة أمر حتمي يستعد له من خلال إنتاج منتجات حضارية ذاتية الملمح، وقوة البنى تبرز كمقوم اجتماعي حضاري وبخاصة في ظل وجود أرضية فكرية متينة تتمثل في الثقافة الإسلامية [45] وهذه الثقافة جعلته معلما وموجها من خلال دروسه التي ألقاها ومواعظه، ففي المرحلة الفردية من العمل التي أنجزها تمكن من تكوين طليعة من الأشخاص المزودين بالمعرفة والسلوك أمثال تلامذته "محمد سوالمية"، و"سي لحاج بن يونس"، وغيرهم المرافقين له في التوجيه، والكشف عن نية الاستعمار وعن حقيقة الأوضاع في الجزائ[46]وبذلك يكشف لنا دور المسلم كمثل شاهد هو اشتراك مزدوج يفرض عليه واجب التوفيق بين حياته المادية والروحية وبين مصائر الإنسانية، ولكي يقوم بالدور الفعال ينبغي أن يعرف العالم، وأن يعرف نفسه، وأن يعرف

45طه جابر العلواني، **إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات**، ط2، الدار العالمية للكتاب الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، الرياض، 1994، ص. ص13، 14.

[46]المصدر السابق، ص.167

الآخرين بنفسه فيشرع في تقويم قيمه الذاتية.[47] وبإشراكه لتلامذته في القضية المطروحة يتبين مدى نجاحه في كيفية جعلهم يصغون وينصتون له.

لقد كان لتعليم المقهورين تعليما يعيد للمستلبين إنسانيتهم الضائعة، ذلك أن الاستلاب، يخل بقدرة الإنسان على أن يمارس وجودا بشريا متكاملا، والاستلاب، في نظر مالك بن نبي، لا يدل على حقيقة المقهورين بل يمد في نفس الوقت على حقيقة القاهرين الذين يحولون دون أن يمارس أولئك المستلبون حريتهم الإنسانية الكاملة، وفي ذلك يقول باولو فريري: "إن تعليم مقهورين يولد أداة نقدية، يكتشف بها المقهورون حقيقة أنفسهم وحقيقة قاهريهم كضحايا للنزعات اللاإنسانية" [48].

ولم يكن بالأمر اليسير عند "مالك بن نبي"، لترتيب الدروس بين مختلف الأعمار والسوابق الذهنية، فكان (الدرس الأول) مجرد تجربة له، وفي (الدرس الثاني)،كانت حصة تعارف مع تدوين الأسماء والأعمار، أصغرهم كان يدعى "بن يحي السعدي" من "واد اميزور" بجبال القبائل، وأكبرهم يدعى "تاشفين عبد الله" من تلمسان، ففكر "بن نبي" في طريقة التدريس بأن تكون في تكوين شخصية ذات أبعاد، ربّما تكونها طفرة واحدة، هزة أو بعض الهزات النفسية فكانت الغاية من فكرة بن نبي لتعليم القراءة والكتابة، معرفة إمضاء الأسماء على الأقل في مكتب بريد أو في إدارة عملهم [49]. فأراد أن يزيح عنهم الجهل، ويسايرهم للتقدم وذلك بضرورة توضيح، وتبسيط المفاهيم وتفادي كل ما من شأنه أن يؤدي إلى تعطيل فهمهم.

وأما عن الدروس فكانت تنصب على تعليم الحسابات الأولية، والحروف الأبجدية وبعض المقتطفات من الجغرافيا [50].و كما تم تقديم دروسا لبعثة الجامعة العربية القادمة من مصر فدرس باللغة الفرنسية حيث تعرف على الشيوخ "تاج و "دراز" الذي وضع له تقديما لكتابه الظاهرة القرآنية و"عفيفي" [51].

لقد اعتمد أسلوب التدريس عند "بن نبي" على الكم، والكيف، ففي الحلقة الأولى استطاع "بن سعدي" أن يكتسب، فيجعل بذلك أستاذه يقيّمه على أن يصبح بعد

47مالك بن نبي، **وجهة العالم الاسلامي**، ت: عبد الصبور شاهين، ط5، دار الفكر، دمشق، 1986، ص 156.

48 الشريف طوطاو، التربية وبناء الإنسان: قراءة في فلسفة التربية والتعليم عند "رجاء غارودي"، مجلة **المعيار**،، قسنطينة، الجزائر ، ع30، مج15 ، 2012، ص2

49مالك بن نبي، المصدر السابق، **مذكرا ت شاهد القرن**، 405، 407

50 مالك بن نبي، المصدر السابق، **العفن**، ص166

51نفس المصدر، ص .129

ثلاث أو أربع أشهر من النجباء ومن الذين يتمكنون من حل بعض المسائل في المستوى الإعدادي، ويحرّر باللغة الفرنسية بصورة عجيبة، ومما سبق هنا تتبين لغة التدريس أنها كانت باللغة الفرنسية وإلى جانب ذلك تكونت هيئة طلابية قامت بشراء خريطة ليدخلوا في عالم اللانهاية، حيث يتعرّف كل واحد من القرية، إلى الحوز، فالناحية، وإلى العمالة، إلى الوطن، وإلى القارة، إلى الكرة الأرضية [52].

وهكذا كان للخريطة ميزة أخرى في التكوين، فإذا كان الحساب ينبه العقل للكم، فإن الجغرافيا تنبه للكيف أي الاختلاف بين الأجناس، والرقعات الحضارية، والمواصلات بأنواعها، والإنتاج بأنواعه المختلفة حسب المناطق والجهات [53].فيتبين لنا عرض المعلومات بالخريطة تدمج بين السهولة والسرعة في عرض المعلومة وتوصيلها إلى المتلقي أي أنه حقّق تبسيط المعلومات، والبيانات المعقدة، وحتى يتسنى للتلاميذ المختلفة أعمارهم ما بين الشباب والشيوخ حسب ما ذكر آنفا بدت لهم معرفة البلدان، فبسط العمل في نهجه التعليمي وكان يستخدم الجانب التطبيقي، وأمّا عن التربية السلوكية، فنجد بن نبي يلقن تلامذته طريقة المشي على الرصيف حتى لا يكونوا كالبهائم التائهة يسدونها على المارة. فالوعظ والارشاد في التعليم هنا مثل التربية الجمالية. فلم يكن مالك معلما فقطا وإمّا مربيا فمثل دور الأب والصديق في التربية والتعليم، رغم الأجر الزهيد الذي كان يتقاضاه من تلامذته بمبلغ خمس فرنكات، هذا الوضع المادي الذي أرغم زوجته للعودة إلى منطقتها "درو" Dreuxليلتحق بها بعد أسابيع وفي ذلك كان يراسلهم تلميذه "بن يحي" باسم أمي العزيزة وأبي الحنون [54]، فحسن التواصل وطريقة التبليغ خلقت العلاقة الحميمية بين التلميذ والأستاذ، هذا إن دل إما يدل على أنه أدى الرسالة التعليمية على أحسن وجه.

لقد اهتم "مالك بن نبي" بتعليم التربية الجمالية اهتماما، والتي هي شكل من أشكال التعليم والتعلم، ومن ذلك فقد انصب اهتمامه بحسن الهندام، حتى يكون يكونوا شامة في أعين الرّائي، وأمرهم بالحلاقة بقص الشعر بطريقة تحسن الصورة، ونهاهم عن عدم التكديس بـــ(ميدان اكس)، فوجب مخالفة ذوق شارع (لوشابولييه) وأسلوبه وعدم الظهور بمظهره كي لا يتعرضوا للسخرية [55]. ومن خلال ماسبق وعلى

---

[52] مالك بن نبي، **مذكرات شاهد القرن**، ص.409

[53]نفس المصدر، ص.410

[54]نفس المصدر، ص. ص169، .170

[55]نفس المصدر، نفس الصفحة.

غرارالحي اللاتيني وشارع لوشابوليه حيث يتواجد المهاجرين، نرى أراد مالك أن يكون عقل الانسان، ففي (الحي) تتكون عقلية الأشخاص فالشارع يلعب دور المعدل للقيم الذي قد تنتجه بعض الأسر الغير السوية أو المثالية، فالفرد في الشارع أشبه مايكون في سوق يعرض سلوكه، ويكتشف سلوك الآخرين، فيطبع سلوك الفرد بسلوك الأغلبية، فالفرد ابن بيئته، والشارع يصلح أويفسدحسب الغالبية، فالشارع فيه الطالح وفيه الصالح، فيه النافع وفيه الضار، وفيه الأصيل والدخيل، والأحياء الشعبية غالبا ماتجمع المتناقضات. لذلك أراد مالك أن يبني الشخص ويعلمه ليغرس فيه القيمة الجمالية.

وكما اهتم "مالك بن نبي" كذلك بدراسة المشكلات الناتجة عن حرارة المأساة التي تعيشها بلاده الجزائر المستعمرة، وكل البلاد المتخلفة، ممّا دفعه إلى الاهتمام الواضح بالثقافة الفلسفية، والتاريخية، واستيعاب المعارف القديمة، بالإضافة إلى إحاطته بأهم النظريات، والعلوم التي برزت في ساحة الفكر مع النهضة الثقافية الأوربية، معلم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وعلم النفس، وكثيرا من الأعمال الأخرى" [56].

وفي خضم هذا التعليم يجعلنا نقول أنه وفق في أفكاره بحيوية بين الوضوح والعمق، وجعل مناهجه الدراسية تختلف فكان معلما موجها للعلوم الدينية التربوية، وذلك من خلال تحليل القضايا، والعلوم الرياضية في تعليم الحساب والإنسانية في الاتصال مع الجماهير، وتعليم اللغة الفرنسية والجغرافيا، فلقد لعب مالك المهاجر دورا تعليميا فركز في أفكاره على الأخلاق، وعلى الجد في العمل، وعلى أن التفكير يحرر الذات من الخضوع، وبالتحليل يجعلها تتقدم وعرف كيف يجتاز الضغوطات، فكان أكثر حرية في نقد الآراء، وبها حقق غاية تعليمية، فروح العلم جعله يقبل على التعليم في أبسط الأماكن من اجتماعات مع شباب النصارى في نادي اتحاد المسحيين وتعليم المهاجرين الجزائريين والاستفادة التي حظوا بها جعلتنا نقول أنه كان مربيا ومعلما في بيئة غير بيئته رغم الصعوبات المادية التي كان يعايشها في فترة الثلاثينيات من القرن العشرين.

2.2- بن نبي مؤلّفا:

خلَّف "مالك بن نبي" وراءه تراثا فكريّا وافرا وباللغتين الفرنسية والعربية، لتعدد وتنوع مؤلفاته، من دراسات، وروايات(رواية)، ومقالات، ومحاضرات وندوات، وخطابات، ومقابلات، ومذكّرات، وحوا رات، ودروس، والحقّ أن مالك بن نبي كان لا

[56] هيام المالقي، "التميز الفكري عند مالك بن نبي"، مجلة **الفيصل**، دار الفيصل الثقافية، المملكة العربية السعودية، العدد 196، 1993، ص28.

يتقاعس عن الكتابة، أو الحديث، أو الدّرس منذ ثلاثينيّات القرن العشرين لأنّه كان رجلا رساليّا، ملتزما ومسؤولا، بصيرا واعيا بملابسات الوضع و رهاناته، استشرافيّا واضح الرّؤيّة، جريئا، عميق الإيمان بقضيّة أمّته، وبإنسانيّة الإسلام، فلم يكن يزهد في أيّ شيء كبر شأنه، أو صغر كان يرى فيه إيجابا يوصله إلى أغراضه أو يقرّبه منه[57].

ما يهمنا في هذا البحث هو مؤلفاته في فرنسا ومن خلالها حاولنا التطرق لأبرز ما عالجته، ففي بداياته الأولى بفرنسا كان كل ما يشعر به من إهانة أو خذلان للوطن أو لقضية ما إلا وكان المداد صديقه فيعبّر عن ما يخلج في الوجدان ليرتاح ضميره، فنجد مثلا مقالاته التي لم تعنى بالنشر منها(مثقفون أو مثيقفون) التي كانت كأول مقال لتوليد الفعل وأخذ منها نسخة "حمودة بن ساعي" ليقرأها على طلاب (الحي اللاتيني) من هم على مشرب "فرحات عباس" [58]، ومقالات غيرها لم تنشر ك "الخطوة الجزائرية"- parti apollique social Algérie- ومقال (لا مع الفاشية ولا مع الشيطانية) الذي وجه لجريدة (البرلمان) فلم تنشره، وترجمه إلى العربية ووجه إلى جريدة (الحزب الحر التونسي)فلم تنشره هي أيضا [59]. ومن خلال هذا يتبادر لنا أنّ مالك كان على وعي سياسي لا تخفى عنه خافية في كل ما يجول بأنحاء الوطن وقضايا العالم.

وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت الانتاجات الفكرية ومرحلة العطاء تبرز، فبدأ بنشر بالفرنسية (الظاهرة القرآنية-Phénomène coranique)عام1946، وبعدهابعام نشر روايته "لبيك" كما نشر(شروط النهضة-Conditions de renaissance)عام 1948، و(وجهة العالم الإسلامي-vocation islamique) سنة1954[60].بينما يرى "عمر المسقاوي"" عن شروط النهضة أنها اجتمعت كلمات بن نبي عن الثقافة في بواكير انتاجه الفكري في 1947 [61].

وللحديث عن كتاب (الظاهرة القرآنية) يقول" بن نبي": و جهت فيه التحية لصديقي وأستاذي بن ساعي في فلسفة الإسلام الذي كان له الفضل في تمكيني من الولوج لروح الإسلام، وأفادني معناه للقيمة الخلقية فكان هو الذي صنع الأفكار، وأنا أرتبها ترتيبا

---

[57]محمد بغداد باي، **تربية انسان ما بعد الحضارة، (قراءة تربية نوعية لفكر بن نبي)**، اطروحة دكتوراه في علم النفس، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة محند بن أحمد، جامعة وهران/2015/02/ 2016، ص24

[58] بن نبي، **مذكرات شاهد القرن العشرين**، ص. ص 360، .361

[59] نفس المصدر، ص. ص 425، 426.

[60]انظر فوزية بريون، المرجع السابق، **مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة**، ص.124

[61]المصدر السابق، **شروط النهضة**، ص.8

مذهبيا"[62]، لقد تأثر مالك في هذا الكتاب بمشهد شباب الإسلام الذين استهوتهم المناقشة الخطيرة بين العلم والدين[63].

وتم فيه تحقيق المنهج التحليلي ليبيّن للشباب فرصة الأمل في الدين، فاعتمد على تحليل اجتماعي، وتحليل للقرآن لتحقيق هدف علمي مزدوج: أولاً إعطاء الشباب المسلمين الفرصة للتأمل والتعبير عن آرائهم في الدين، ثم اقتراح إصلاح مناسب للدين، فالنهج القديم لتفسير القرآن، نهج معرفي له خصائص عديدة، ويتميز باستقلاليته وشفافيته وانفتاحه [64]ومن من بين هذه الخصائص: الاهتمام بضمان أصالة وفعالية الفكر الإسلامي، والحذر من الفخاخ التي نصبها العدو (الآخر)، والمراهنة على التحليل الرياضي، والمنطقي، والفلسفي، والنفسي-الاجتماعي لتوضيح أسرار الأسئلة الفردية والجماعية[65]."فالعقل الحديث الذي يفكر به الشباب الإسلامي، والذي يريد أن يدرك ما يرضيه ويطمئن اليه من دلائل اعجاز القرآن هو لب المشكلة، ففهم العقل الحديث في العالم الإسلامي الذي يحدد طريقنا ومنهجنا في كل دراسة صحيحة، يحب أن نقدمها إليه حتى يطمئن ويرضى"[66].فمصدر المعرفة القرآن الذي يقتضي بيان تصور العالم الإسلامي.

لقد أتبع كتاب الظاهرة القرآنية بقصة "لبيك"، تلك القصة التي استخرجت من الروح الإسلامي الحس بالزمن في أسس الوحدة الموضوعية للبشر، ومرجعها الى الله في كل ما يعنيه نداء لبيك، ذلك النداء الجماعي في إبلاغ الرسالة إلى الأمم، فهذه البذور العميقة في روح المسلم الفقير القادم حافيا من عمق الصحراء، وهو يسارع بالنداء "لبيك اللهم لبيك" [67]وهي القصة الوحيدة التي اتجه فيها الكاتب اتجاها أدبيا[68].

---

[62]المصدر السابق، **العفن**، ص .98

[63]المصدر السابق، **شروط النهضة**، ص.7

[64] Delmi Zohir, Malek Bennabi (1905 1973 –É.C.) et les conditions d'une nouvelle renaissance de la société arabo-musulmane , En vue de l'"obtention du grade de Maîtrise (M.A.) ès sciences des religions, Université de Montréal,2013 ,p76.

[65] ibid, même p.

[66]مالك بن نبي، **الظاهرة القرآنية**، ت: عبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر، دمشق، سورية، 1984، ص19..

[67]عمر كامل مسقاوي، **في صحبة مالك بن نبي، مسار نحو البناء الجديد**، ج1، ط1، دار الفكر، دمشق ،2013، ص. ص25 ،26

[68]مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ص7.

واصل المفكر "مالك بن نبي" في صياغته لنظرية "شروط النهضة" في سياسات الأعراف والقوانين، والتي أوضحها الجيل الأول من مدرسة الإخوان، ولا سيما من قبل المحامي والقاضي عبد الفتاح قادر عودة (1906-1954) نهج وجد في كتبه: الإسلام ووضعنا القانوني، الإسلام وسياستنا، والتشريع الجنائي الإسلامي، تمحور حول مسألة تطوير التشريعات الإسلامية، تصور تقدمي ومستقل عن الكاتب والناقد سيد قطب (1906-1966)، الذي تحول تدريجياً إلى مفهوم الحكم الإلهي ورفض الحداثة كعصر جديد قبل الإسلام. استوحى بن نبي أيضًا من الدراسة التي أعدها ابن خلدون عن الحضارة، بالإضافة إلى مراجع غربية أخرى مثل مراجع "أوزوالد شبنجلر" (1888-1936 م) وأرنولد توينبي (1889-1975 هـ[69].

وفي كتاب "وجهة العالم الاسلامي" كإهداء نجده يساند القضية الوطنية ويبدي صرخته مدويا بها نحو الشعب الجزائري الثائر فيقول: "إنني أحيي كفاحك أيها الشعب الكريم لأن عدالة القضية تخلع عليه القداسة، إنني أحييه لأنه كفاح الطفل الجزائري في سبيل مستقبله، ولأنه كفاح المرأة الجزائرية من أجل أمن بيتها وسعادة أسرتها ولأنه كفاح الشهداء، ولأنه كفاح الأبطال الذين يريقون دمائهم من أجل الحق المقدس للطفل وللمرأة ،ولأنه كفاحك أيها الشعب الكريم من أجل البقاء والكرمة والحرية، ان الله الذي يبارك صراع الأبرار، يبارك كفاحك ويقوده الى النصر تحت الراية المقدسة التي كتب عليها وعده الصادق" وكأن حقا علينا نصر المؤمنين" [70].فيتضح لنا من خلال هذه الكلمات المعبرة والصارخة الدلالة مدى اهتمامه بالأسرة ،فوجه التحية للشعب، وللطفل الذي شكل فئة فعالة في تحرير الجزائر وجدارة المرأة ثانيا، من أجل غرس السعادة والأمن في البيت، فالتأثر الذي عايشه في حياته وهو ابن السابعة وتأثره بأمه في التربية الروحية، يوحي لنا مدى اهتمامه بالأسرة الجزائرية، كما يشير على نصرة الله في صلاحية التربية، رغم ما يغرسه الاستعمار من جراثيم سيكولوجية.

ففي القسم الأول من الكتاب تشير تسميته لاتجاه الحضارة الغربية، ويحدد البنية الفوقية للعالم الاسلامي ثم في القسم الثاني حول التأثير اليهودي في بنية أوربا، والذي يعالج ويحدد البنية التحتية التي تتصل بعالمها المحيط حولها في مسيرة الحضارة الغربية بعد الحرب العالمية الثانية، فبدت هذه المشكلات مشكلة حضارية، وهنا يأتي

---

[69] ibid.p76

70مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، ت: عبد الصبور شاهين، ط5، دار الفكر، دمشق، سورية، 1986، ص:7.

دور الرسالة الاسلامية كإسهام مؤثر وفاعل[71] ومن الضروري الاندماج في مشكلة الإنسان، ويكون ذلك من ثلاثة اتجاهات:

توجيه الثقافة ،التوجه نحو العمل، وتوجه رأس المال[72]

ولقد تنوعت أعماله في التأليف، فحرّر المقالات في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات، ونشرها في صحيفتين جزائريتين ناطقتين بالفرنسية هما (الشباب المسلم) و(الجمهورية الجزائرية)،وقد سماها "في مهب المعركة"، وفيها يمنح الشباب الجزائري آفاقا تبدد ضباب الاستعمار، ويضع لثقافة الجيل أسسا أصيلة وقيما للعقيدة [73]وهذه المقالات أحصيناها بتسع وعشرين مقالا يصعب علينا ذكر عناوينها كلها، ولكن سنكتفي بالإشارة إلى أهمها أو التي لها صلة بالكتابة :

-مقال "النقد السليم" في 22 جانفي1954وفيه يرى النقد برهانا واضحا بينا مفتوحا لكل عقل حتى يفهمه وهو غالبا ما يكون رجل الشعب، وكما يراه موقفا فكريا ليس نقدا من أجل النقد، ويشير عن الكتابة لمن يكتب حسب الفرص فهو غير جدير بالكتابة، وهذا ما جعل "دو هامل" يقول: فالكتابة ليست مهمة يتمتع صاحبها بالراحة [74].

-"أكتب بضميرك" التي نشرت في صحيفة الجمهورية الجزائرية في 4/6/ 1954 طرحت فكرة الكتابة، ووجوب عملية تتبعها في معركة الحياة والصراع الفكري، وأشار فيها إلى تكوين فكرة عن شخصية القارئ لأنه العامل الذي يحول الفكرة فيصيرها واقعا محسوسا في سلوكه أو شيئا ملموسا في محيطه، فنلمس دورا للقارئ بموقفه في توجهيه للكاتب، كما يرى في فكرة رجل الشعب فكرة أقرب للصواب من الرجل المثقف كونه طليق النظر[75].

وألّف كذلك بفرنسا كتاب (الفكرة الافريقية الآسيوية-L' Afro-Asiatisme)سنة 1956،وفيه وجدت خطوطا عريضة للتقدم، فكان كتابا ذو بعد حضاري، والذي أعطى فيه ورشة بناء موقعها في آسيا وافريقيا كمنطلق لوحدة الحل الانساني، فيعد نطاق مؤسسة العمل التاريخي لبناء الحضارة الإسلامية من جديد في مسار الأمم [76]ثم اتجه

---

[71]المصدر السابق، ص. ص 25، 26

[72]مالك بن نبي، المصدر السابق، **شروط النهضة**، ص.77

[73]مالك بن نبي، **في مهب المعركة، ط**1، دار الفكر، دمشق، 1991، ص.9

[74]نفس المصدر، ص. ص158، 159.

[75]نفس المصدر، ص 153.

76عمر كامل مسقاوي، المصدر السابق، ص25.

بمخطوطه لينشر بالقاهرة. ولقد اختلف منهجه في الكتابة فأحيانا يكتفي بالسرد وأحيانا أخرى يمزج بين السرد والتحليل يستعمل في ذلك رموزا رياضية وكيميائية علمية لقد عاش البيئة الاجتماعية والسياسية والدينية بكل جوارحه؛ فلم يخشى من بطش السياسي أو الاجتماعي أو الديني؛ أي لم يكن دافعه لاستخدام الرمز والتشبيه خوف من التصريح، والرمز عند عنده اتخذ شكلًا بسيطًا واضحًا لأنه في الغالب درس أخلاقي في تحليل فكرة وابرازها ليسهل للقارئ استنتاج مغزاها بل كفلت له الاوضاع السياسية والاجتماعية والدينة أن يصرح بما يشاء. وهو ما كتب في كتاباته القبول والانتشار في البيئة العربية ومن جهة أخرى احتوى مضمون أسلوبه نوعا من الاستعارة في الوصف.

الخاتمة:

وممّا سبق نخلص إلى أنّ "مالك بن نبي" أعطى اهتماما كبيرا للتربية والتعليم ،وبعده النقدي للأفكار والشخصيات ما هو إلا من باب ضميره اليقظ، فلامس الجرح الذي عاشه مجتمعه والمجتمع الإسلامي،فحلل بذلك القضايا التي شغلها العصر، والزمن قد صادق وبرهن على صحة ذلك، وأشار بن نبي إلى الدور الأساسي في بناء الفرد روحيا واجتماعيا بصفته عامل ضروري في الحضارة، وفي حاجة الاهتمام بالروح قدم الإسلام كعقيدة سليمة صحيحة، وكما أرشد إلى الأخلاق وتربية النفس بالإيمان الصحيح، ودعا إلى ربط الإنسان بماضيه، وأصوله وبذلك ترجمت أعماله في دوره التربوي والتعليمي في تعليم بعض الأصدقاء والمهاجرين الجزائريين الأميين بفرنسا، إضافة إلى ذلك انشغاله بالتأليف، وعليه نستنتج ما يلي:

-تكون معالجة المشاكل باستئصال المرض ليتطلب قصدا تغييريا حضاريا.

-حاول "مالك بن نبي" تنوير الرأي العام وانهاض همم المثقفين وتصحيح المفاهيم التي تسود بينهم.

-منهج "مالك بن نبي" منهج علمي، استند في كتاباته على التحليلات الفكرية واستند على التجربة والبرهان مع الاحتفاظ بالأفكار الرياضية التي تعتبر عصب البحث العلمي، فربط مختلف القضايا بحجج وأمثلة واقعية.ومنهج تاريخي في الاعتماد على سرد الوقائع التاريخية.

- القرآن الكريم هو مصدر المعرفة الذي ينبغي العودة إليه والانطلاق منه في مناقشة أهم التحديات ومعيقات العالم الإسلامي.

-وعليه لابد أن نشيد بعمل الرجل الذي جاهد بالتعليم، فكان معلما حقيقيا، ولم يتوقف عن الكتابة والنشر رغم ما عاناه من ظروف قاسية وصعوبة مادية، فلنقل بذلك أنه انتصر

بأفكاره، فلازالت حتى اليوم تؤثر في توجه المجتمعات نحو المستقبل توجيها تربويا واجتماعيا و سياسيا واقتصاديا.

وفي الأخير نقترح:

-الإسهام في محاربة الآفات الاجتماعية والانحرافات السلوكية، بالكشف عن أسبابها وطرح اشكال العلاج الناجع للحفاظ على قدرات الشباب الذين هم ثروة البلاد.

-الوقوف في وجه التيارات الثقافية المستلبة التي تسعى للتقليل من أهمية التمسك بالهوية والعقيدة والخصوصية الثقافية التي تميز المجتمع الجزائري.

- العمل الفكري الجاد والمتواصل للنهوض بالنشاط العلمي والتربوي والابداع الحضاري لمواكبة التطور.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: باللغة العربية

1بريون فوزية، **مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة**، دون ط، دار الفكر، دمشق، 2010

2.بغدادباي، **تربية انسان ما بعد الحضارة، (قراءة تربية نوعية لفكر بن نبي)**، أطروحة دكتوراه في علم النفس، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة محمد بن أحمد، جامعة وهران02 2015/ 2016

3-البنعيادي محمد، "مالك بن نبي في ذاكرة عبد السلام الهراس"، المجلة **العربية**، الرياض، ع395، 2009

4-بن نبي مالك، **تأملات**، ط1، دار الفكر، دمشق، سورية ،1979

5-بن نبي مالك، **شروط النهضة**، ت: عبد الصبور شاهين، دون ط،دار الفكر، دمشق، 1986

6- بن نبي مالك، **الظاهرة القرآنية**، ت: عبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر، دمشق، سورية، 1984

7-بن نبي مالك، **العفن**، ج1، 1932- 1940، ت: نور الدين خندودي، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2007،

8-بن نبي مالك، **في مهب المعركة**، ط1، دار الفكر، دمشق، 1991

9 -بن نبي مالك، **مذكرات شاهد القرن**، ط2، دار الفكر، دمشق، 1984

10-بن نبي مالك، **مشكلة الثقافة**، ت: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 2000

11-بن نبي مالك، **ميلاد مجتمع**، ج1، **شبكة العلاقات الاجتماعية**، ت: عبد المالك صبور، ط3، دار الفكر، دمشق، 1986

12- بن نبي مالك، **وجهة العالم الاسلامي**، ت: عبد الصبور شاهين، ط5، دار الفكر، دمشق، 1986

13-الشمري غازي، يايوش جعفر، **مالك بن نبي بين التمثل والابداع**، دار نينوى، ط1، سورية. دمشق، 2017

14-طوطاو الشريف، "التربية وبناء الإنسان: قراءة في فلسفة التربية والتعليم عند "رجاء غارودي" **مجلة المعيار**، قسنطينة الجزائر، ع30، مج15، ، 2012

15 -العاطف محمد، **محورية الانسان في معادلة النهوض الحضاري**، أطروحة دكتوراه في الفلسفة العربية والغربية، المدرسة العليا، بوزريعة، الجزائر، 2018/2017

16-العلواني طه جابر، **إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات**، ط2، الدار العالمية للكتاب الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، الرياض، 1994

17 -(فليه فاروق عبده، الزهيري ابراهيم عباس)، **الثلاثية العصرية (الثقافة –الاعلام – التربية)**، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، 1998

18-فيبر ماكس، **الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية**، ت: محمد علي مقلّد، دون ط، مركز الانماء القومي، لبنان

19-المالقي هيام، "التميز الفكري عند مالك بن نبي"، **مجلة الفيصل**، العدد 196، دار الفيصل الثقافية، المملكة العربية السعودية، 1993

20-مسقاوي عمر كامل، **في صحبة مالك بن نبي، مسار نحو البناء الجديد**، ج1 ، ط1، دارالفكر، دمشق، 2013

21- ميهوب العابد، **الفكر التربوي عند مالك بن نبي**، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014/2013

22- نقيب عمر، "طبيعة المجتمع في فكر مالك بن نبي التربوي"، **مجلة معالم**، ع2، مج7، 2016

ثانيا: باللغة الأجنبية:

-Dilmi zoheir , **Malek Bennabi (1905 1973) et les conditions d'une nouvelle renaissance de la société arabo-musulmane** , Mémoire présenté à la Faculté des études
supérieures, En vue de l'‟obtention du grade de Maîtrise (M.A.) ès sciences des religions, Université de Montréal,2013